العمر والإيمان وقضايا الشباب

بين الأصالة والمعاصرة

العلم والإيمان وقضايا الشباب

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه
بجامعة دمشق - كلية الشريعة

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع
سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وبعد :

فإن العلم والإيمان حقيقتان أساسيتان من حقائق هذا الوجود . وهما صديقان حميمان لا تنافر بينهما ولا عداوة ، ولا انفصام في مسائلهما ، وكل منهما يدعو إلى الآخر إذا حسن فهم الحقائق العلمية ، فالعلم يدعو إلى الإيمان بوجود الله تعالى وحده ، والإيمان يرتكز في إثباته وإدراك أساسياته على العلم .

والعلم والإيمان معاً كفيلان بفهم مشكلات الكون والإنسان والحياة ، وإدراك قضايا الشباب والإسهام بنحو

فعال في حلها ، وتذويب معضلاتها ، والتفاعل مع هموم الشباب ومساعدتهم في بلوغ الغايات المرجوة ، وتحقيق الطمأنينة والسعادة ، وتحطيم الصعاب التي تعترضهم ، وتخليصهم من عوامل اليأس والقنوط والقلق والحيرة والتردد التي تنتابهم ، أو تكاد تعصف بوجودهم ، فيكون دور العلم والإيمان بمثابة البلسم الشافي الذي يمنحهم الزاد الوفير ، والأساليب الناجعة للوصول بهم إلى شاطىء الأمن والسلامة والاستقرار ، لكن يظل الإيمان المقرر بالوحي الإلهي هو الشعاع المضيء الذي ينير العقل ويصحح طريق العلم ، ويهيمن عليه إذا انحرف أو زاغ .

ويمكن بسهولة وبساطة الإقتناع بكل ما ذكر بعد بيان ما يلي :

١ـ معطيات العلم الحديث .

٢ـ ثمار الإيمان .

٣ـ قضايا الشباب (الداء والدواء أو العلاج) .

* * *

معطيات العلم الحديث

العلم بنحو عام : يراد به كل المسائل النظرية والتطبيقية التي تبحث في رحابه ، وأما العلم الحديث فمعناه معرفة حقائق الكائنات الطبيعية بواسطة الحواس أو الآلات والتجارب التي تجري في المعامل الطبيعية أو الكيميائية أو الذرية[1] . وقد أصبحت الدولة المعاصرة تعتمد مباشرة على العلم والطرق العلمية لحل المشكلات الصناعية والزراعية والتجارية والعسكرية ، وصارت تعمل على تطوير العلوم والتقنية (التكنولوجيا) أي التطبيق العملي للنظريات .

واستفاد الإنسان في كل مكان في العصر الحديث من

---

(١) الإسلام دين الفطرة والحرية للأستاذ عبد العزيز جاويش : ص ١٨٢ ، البيان في تصحيح الإيمان للأستاذ إبراهيم عبد الباقي : ص ١٤ .

معطيات العلم ، حيث أدى به إلى سعة أفقه ، ونمو معارفه وثقافته ، وتوفير راحته فيما قدمه له من تقدم سريع وشامل في كل آفاق الحياة العامة والخاصة ، وزوده بالآلات المتنوعة وبالوسائل المتعددة التي مكَّنته من تحقيق غاياته بنحو إيجابي وسريع وفعال في البر والبحر والجو .

وكان من معطيات العلم الحديث اتساع مدارك الإنسان ، وحل كثير من ألغاز الحياة التي كانت فيما مضى تفسر بنوع من السحر والشعوذة وألوان الخيال ، وشد الإنسان نحو الارتباط بالواقع ، وزيادة التعلق بالحياة ومغرياتها ، والافتتان بمظاهرها ، والاستمساك بالواقع المعيشي المترف الذي قذفت به الآلة الحديثة في مسرح الحياة الأكبر ، من أدوات علمية دقيقة جداً ، وآلات كهربائية وذرية ، ووسائل اتصال ومشاهدة فائقة الغرابة والدهشة .

إن هذا التقدم العلمي الرائع ، وهذا الاكتشاف الهائل لدقائق العلم والمعرفة ، لم يكن بحال من الأحوال معارضاً للدين والإيمان ، وإنما كان على العكس سبباً واضحاً لترسيخ معالم الإيمان في النفوس ، لأن ما من ظاهرة علمية دقيقة تكتشف إلا ولها دلالة واضحة على وجود الإله المبدع الخالق

لكل شيء ، الذي خلق فسوّى ، وقدَّر فهدى ، وخلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأحسن كل شيء خلقه .

ويمكن القول بأن عصر العلم الحديث هو عصر الإيمان ، فإذا كان الإيمان في العصور السابقة إيماناً غيبياً ، فالعلم في العصر الحديث قد أثبت بنحو قاطع وجود الله وعظمته وقدرته ، وأصبح الإيمان قائماً على أساس صحيح من العلم والمعرفة[1] .

لا شك بأن الإيمان يوجد مع فطرة الإنسان التي توحي إليه بأنه عاجز وضعيف ، وأنه محتاج إلى من أوجده وسوّاه ، وأن الموجد لا بد من أن يكون واحداً غير متعدد ، لأن التعدد خطر يهدد العالم بالفساد والاضطراب والدمار والخراب ، وأما وحدة الألوهية والربوبية : فهي التي تملأ قلب الإنسان طمأنينة وسعادة وارتياحاً في الحياتين الدنيوية والأخروية معاً . وكذلك التعدد في الآلهة آية العجز والضعف والحاجة ، وأما وحدة الإله فهي بالذات دليل مقنع على القداسة والكمال والقدرة المطلقة التي لا حدود لها ، وتلك هي بحق صفات

---

(١) الله والعلم الحديث للأستاذ عبد الرزاق نوفل : ص ١٩ .

الإلٰه الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

والعلم وحده لا سيما العلم الحديث هو الذي يرشد الإنسان إلى ضرورة وجود الله تعالى ، وكونه الإلٰه الواحد القادر الذي لا شبيه له ولا نظير ، ولا شريك ولا معين ، ولا زوجة له ولا ولد .

إن اكتشاف الذرة والكهرباء ، والاكتشافات العلمية المتعددة ، وغزو الفضاء ، أوحى إلى العلماء والعقلاء بأن وراء هذا الوجود إلٰهاً قادراً ، كما أن الملاحظات العلمية السديدة تزيد في قناعة الإنسان بوجود الله ووحدته ، سواء ما تعلق من تلك الملاحظات بالنفس الإنسانية وما فيها من دقائق جسدية وعقلية ، أو ما اتصل بآيات الكون ، كالشمس والقمر وبقية الكواكب السيارة ، وملايين النجوم المعلَّقة في السماء ، وتقلب الليل والنهار ، والزرع وأصناف النباتات والأشجار ومخلوقات البر والبحر من أنواع الحيوان .

فالعلم سبيل الإيمان بلا شك ، وذلك بملاحظة ما في هذا الكون من توازن وإتقان ، وانسجام ودقة ، ونظام وإبداع ، وقوى وأسرار يكتشفها العلماء تدريجاً ، سواء في عالم السماء أو في عالم الأرض . إن كل هذه الموجودات تنطق

بوجود الله تعالى ووحدانيته ، لأن الدقة والإبداع والإتقان لا تأتي مصادفة ، وإنما لها سبب منشىء ، وحارس دائم ، ومالك مطلق ، إليه وحده المبدأ والانتهاء . قال الله تعالى في القرآن العظيم : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] . ونوَّه القرآن الكريم بمكانة العلماء خاصة بسبب اختصاصهم في إدراك حقائق الكون ، فقال الله تعالى : ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٢] .

وذلك لأن عقل العالم يدرك حدوده ، فيقف عند الحد الذي يعرفه ، ثم لا يجد تفسيراً لما لا يدركه ، وللغيبيات ، إلا بوجود إله مدبر قادر واحد لا يحتاج إلى عون أو نصير ، فهناك أشياء كثيرة مجاورة للإنسان لم يستطع العقل إدراكها وفهمها أو تحديدها والإحاطة بها ، كالروح وسر الحياة والعقل والكهرباء وأخبار الأمم الماضية ، مما يدل على أن ما وراء هذا الكون أو المسمى بالطبيعة إلهاً خالقاً عالماً بكل صغيرة وكبيرة ، وهو الله سبحانه وتعالى . قال فولتير : « ولو

لم يكن الله موجوداً ، لوجب إيجاده في العقل والضمير »[1] .

لهذا كانت نزعة الإيمان قديمة في الإنسان ، كما أن هنالك ظمأ شديداً لإشباع النفس الإنسانية والروح البشرية بظاهرة الإيمان الصحيح الذي يرد إليه تفسير كثير من ألغاز الحياة ، ويمنح الإنسان قوة وقدرة على فهم مشكلات الحياة ، ويملأ النفس بطاقة عظيمة من السكينة والاطمئنان ، وتفويض الأمور التي تعجز عنها إلى الله جل جلاله .

ومن هنا ندرك تماماً أن العلم والدين متلازمان ، يؤكدان الإيمان بإله واحد ، وأنه لا مجال للصدفة أو المصادفة التي يتشدق بها بعض الملاحدة في إيجاد شيء صغير أو كبير ، وأن العلوم الحديثة تثبت مدى الحكمة البالغة والتدبير العظيم اللذين يقوم عليهما الكون ، وأن وجود التوازن الدقيق والانسجام التام في أجزاء الكون دليل واضح على وجود الله تعالى ، فإن كل شيء خلق بمعيار ومقدار ، وأن النسب المتوازنة في حركات الأجرام السماوية والغازات وغيرها من عناصر الحياة ، برهان واضح أضافه إدراك العلماء إلى أدلة

---

(١) كتاب (الله) للأستاذ عباس محمود العقاد : ص ١٨٦ .

إثبات وجود الله وتوحيده ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : ١ـ٧] .

قال العالم الفلكي (لابلاس) : « إن القدرة التي وضعت الأجرام السماوية في المجموعة الشمسية ، وكثافتها ، وأقطارها ، ومداراتها ، حددت مدة دوران السيارات حول الشمس ، والتوابع حول السيارات ، بنظام مستمر إلى ما شاء الله ، لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة »[1] .

أما الإسلام : فقد قامت دعوته على العلم ، وامتاز عهده بأنه الحد الفاصل بين عهد الجاهلية الأمية ، وعهد النور والحضارة ، وكانت أولى آيات نزول القرآن الكريم : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] ، وأقسم الله تعالى بالقلم منوهاً بأهميته : ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] ، ومجَّد الله تعالى العلم ورفع من شأن العلماء ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى

---

(١) كتاب (الله والعلم الحديث) للأستاذ عبد الرزاق نوفل : ص ٢٢ .

﴿ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر : ٩] ، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة : ١١] . وجاء في السنة النبوية فيما يرويه البيهقي وابن عبد البر عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، أي ومسلمة كما في رواية أخرى .

بل إن الإسلام دعا إلى الاستزادة اليومية وعلى مدى العمر الإنساني من العلم ، فقال الله سبحانه مخاطباً نبيه وأمته من بعده : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] ، واحتضن المسلمون كل وسائل العلم النظرية والتطبيقية ، وأسهموا في تقدم الحضارة والمدنية ، وأضافوا معارف ونظريات وعلوماً جديدة على علوم من تقدمهم من اليونان والرومان والهنود وغيرهم ، وعرف العالم بأسره أن الإسلام دين الفكر والعلم والبحث ، ودين العقل والثقافة ، ولم يعرف التاريخ إطلاقاً أن المسلمين حاربوا تقدم العلوم والفنون ، كما حدث لدى غير المسلمين في القرون الوسطى وما بعدها إلى القرن السابع عشر ، حيث حارب رجال الدين المسيحي كل تقدم علمي ، وعادوا معاداة شديدة بعض كبار العلماء مثل (جاليلو Galileo) .

ولم يختلف موقف الإسلام في القرآن والسنة النبوية من

العلوم المادية أو الفلسفية المعتدلة ، سواء في القرون الوسطى أم في عصر النهضة الصناعية الغربية في القرن التاسع عشر ، إنه موقف يدعو دائماً إلى مزيد من العلم والبحث والتجربة والابتكار ، ويستحث عقول العلماء والمفكرين للبحث في أسرار الكون ، واكتشاف الغوامض ، والاستفادة من ذخائر الأرض ومعطيات الطبيعة الإلٰهية ، والانتفاع بخيراتها ، واستزادة التأمل فيها ، وتشييد صرح الحضارة ، وعمارة الكون ، والاعتبار والاتعاظ بالنتائج والآثار .

* * *

ثمار الإيمان

وأما ثمار الإيمان بالله تعالى : فكثيرة متعددة ، منها ثمار إثبات وجود الله ، ومنها ثمار الإقرار بوحدانية الله ، فإذا آمن الشاب أو أي إنسان بوجود الله ، انحلت من فكره عقد ومشكلات كثيرة ، أهمها رفض المذهب المادي أو الإلحادي القائل بأن الإله هو المادة والحياة مادة فقط ، ومنها إطاعة الله تعالى وامتثال أوامره والاهتداء به ، والله سبحانه لا يأمر إلا بخير ، ولا ينهى إلا عن شر ، ومنها الاستقامة على منهج الله وهداه الذي يحقق أطيب الثمرات ، فيحفظ للشاب صحته وقوام حياته ، وينأى به عن كل المضارّ والمؤذيات .

والإيمان بالله تعالى وطاعته يستلزم الإيمان بأنبيائه والتصديق بكتبه ، وبالغيبيات التي أخبر عنها القرآن الكريم . وكذلك الإيمان الصحيح يهدي إلى أن الإسلام خاتم الديانات

السماوية . والإقرار بكل ما جاء في رسالة النبي محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، والالتزام بما في الإسلام من كونه منهج حياة ، وسبيل اعتزاز وإكرام للنفس البشرية ، ووجوب العمل بمقتضاه والجهاد من أجله[1] ، فلا يذل إنسان إلا لله تعالى ، ولا يخضع إلا لربه الذي خلقه وأوجده ، ولا يضحي بنفسه بالدفاع عن دينه وشرف أمته إلا ابتغاء رضوان الله تعالى .

وإذا آمن الإنسان ـ وعلى التخصيص الشباب ـ بوحدانية الله ، حقق لنفسه معنى الاستقلال والحرية ، دون أن يكون لبشر سلطان عليه ، كما أنه يوفر لذاته السمو ، والعزة ، والكرامة والشجاعة ، والعفة ، والتحرر من سيطرة الآلهة المزعومة ومحاولة استرضائها عبثاً بالقرابين ، فلا يخشى أحداً غير الله ، ولا يعتقد برازق سواه ، قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت : ٦٢] ، ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١] ، ﴿ وَمَا كَانَ

---

(١) كيف ندعو إلى الإسلام للأستاذ فتحي يكن : ص ١١٩ـ١٢٠ .

لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

والتوحيد يحرر الفكر البشري والنفس الإنسانية من الخضوع لأحد غير الله ، سواء أكان من الأجرام السماوية أم من الجن والإنس ، أم من الجمادات ، وفي ذلك منتهى الذلة والمهانة والاستعلاء والطبقية ، لا سيما في عبادة الجمادات والأصنام أو شخصية إنسان ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر : ١٤] .

والإيمان بوحدانية الله يحقق مبدأ الوحدة والمساواة بين الإخوة من جميع أبناء البشر ، لأنه يوجه الناس جميعاً نحو إله واحد ، وغاية واحدة ، وبدون ذلك يتفرقون فرقاً وأحزاباً ، وعصبيات متعددة ، لتعدد الآلهة وخضوع كل فئة لواحد منها ، قال الله سبحانه : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف : ٣٩] .

قال الأستاذ عباس محمود العقاد : إن التوحيد هو أشرف العقائد الإلهية ، وأجدرها بالإنسان في أرفع حالاته العقلية والخلقية ، وأن الإله الواحد (ذات) ولا يسوغ في العقل أن

يراه غير ذلك ، وتلك الذات (كمال مطلق) و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، وأن العقل المحدود لا يحيط بالكُلِّ المطلق الذي ليست له حدود[١] .

* * *

(١) الله للعقاد : ص ٢٥٠ ، ٢٥٣ .

قضايا الشباب

وأما قضايا الشباب : فهي كثيرة ومتنوعة بحسب كل مجتمع ، فالشباب الذين يعيشون في المجتمعات المتقدمة حضارياً كأمريكا وأوربا يعانون من الفراغ الروحي ومن خلو نفوسهم من طاقات الإيمان وأجوائه الممتعة التي تملأ النفس صفاء وطمأنينة وراحة من الهموم والأحزان والمشكلات التي تعترضهم ، دون أن يجدوا لها حلاً مقبولاً أو سلوى تفرج عنهم الكروب ، لذا يكثرفيهم الانتحار والهروب من واقع الحياة المتمدن ، والعيش البدائي تحت شعارات متعددة كالهبيين وغيرهم .

والشباب في الدول الشرقية ـ الاشتراكية يفتقدون أيضاً المعنى الروحي الإيماني بالله عز وجل ، كما لا يتمتعون بكثير من حقوق الإنسان ، فهم إن وجدوا لقمة العيش البسيطة ،

محرومون من الحرية والكرامة والمساواة والحقوق السياسية والديمقراطية .

والشباب في البلاد العربية أو الإسلامية ودول العالم الثالث أو البلدان النامية يعيشون في متاعب كثيرة ، وتنتابهم هموم وأحزان متعددة ، ويتعرضون لنوع من القلق الدائم الذي يحتاج إلى العلاج السريع ، فهم أولاً محرومون في الغالب من الحقوق السياسية ، لأن أغلب الأنظمة الحكومية عسكرية استبدادية ، ويشعرون أمام الغزو الفكري الاستعماري والثقافي الغربي ، ومحاولات التغريب بأنهم دون الناس ، ويفتقدون الكثير من حقوق الحياة الحرة الكريمة ، وتهدد بعضهم المجاعات المتكررة وحوادث الطبيعة من فيضانات وغيرها ، ويعانون أحياناً من الثالوث المخيف الهدام وهو (الفقر والجهل والمرض) ولا يتوافر لديهم الدخل المادي الكافي ، وإذا حصلوا على الشهادات الجامعية ، عجزوا عن تدبير شؤون الزواج ، وإعداد المنزل المقبول نسبياً ، وظلوا سنوات يبحثون عن العمل إما في وظائف الدولة أو في القطاع الخاص ، وهم في زهرة العمر ما يزالون يعتمدون على تمويل الأب ، مما زاد من نسبة البطالة وانتشارها في المجتمع .

وكثير من الشباب يعاني من مشكلة الفراغ الذي يملأ به وقته ، كما أن العزوف عن القراءة ، والاكتفاء بتصفح الصحف والجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية ، والاستماع إلى المذياع ومشاهدة التلفاز ، كل ذلك أوجد نقصاً في تكوين الشباب وتمكينهم من معالجة أمور الحياة برأي صائب ، وفكر ثاقب ، وعقل سليم ، وربما اعتمد بعض الشباب في تكوينهم على أفلام الجريمة والجنس .

ومن أخطر ما يعاني منه شبابنا قضية تقاذف المسؤولية أو اللامبالاة ، والعجز عن تحمل مسؤوليات تكوين الأسرة ، فقد تتوافر القدرة المادية ، لكن الخوف من مطالب الحياة يدفع بالشباب إلى العزوف عن الزواج وبناء البيت .

وربما كان العامل العادي أقدر على مواجهة الصعاب من المثقف الجامعي .

كل هذه الأمثلة ونحوها أوجدت نوعاً من التمرد لدى الشبان ، وربما ساعدهم على ذلك سوء التربية في الأسرة أو في المدرسة ، أو في المعاهد والجامعات ، كما وجه الشباب في بعض البلاد توجيهاً غير صحيح ، إذ أصبحوا أبواق السلطة الحاكمة ، وعنوا بقضايا جانبية ، وتركوا واجباتهم الأساسية ، وآل الأمر بسبب هذا التمزق

الفكري وسوء التوجيه إلى الانحراف واتباع الشهوات والأهواء .

إن الشباب هم عماد الأمة وطاقة عظمى ، وذوو إمكانات وفعاليات كبرى ، تجعل منهم قوة مادية هائلة ، فإذا انضم إليها قوة العقيدة وروح الإيمان الصحيح بالله عز وجل ، واستقاموا على أمر الله تعالى ، أصبحوا هم بناة الأمجاد ، ودعامة الأمة والبلاد .

ولا يمكن إصلاح الشباب إلا بغرس روح الإيمان القوي الصحيح بالله تعالى ، فإنهم إذا آمنوا بإله واحد ، ونمت فيهم روح الأخوة الإيمانية ، وعاشوا أمة واحدة غير مجزأة ولا مفككة ، أصبحوا الجيل الناهض بآمال وطنهم ، واستطاعوا تبديد الآلام التي تجثم في ربوع بلادهم ، وتخلصوا حينئذ من هذه التناقضات بين واقع المجتمع المتخلف ، ومقتضيات الإيمان الصحيح .

ولا علاج لمشكلات الشباب في تقديري إلا بالعودة إلى أصول التربية الصحيحة التي تعتمد على قوة الوازع الديني ، واحترام نظام الأسرة المسلمة ، وربط الشاب بواقع الحياة والمجتمع الذي يعيش فيه ، وتعويده على الاعتماد على

النفس ، واحترامه نظام العمل ، وتربيته على الجدّ وحب العمل والتنمية ، وغرس روح التضحية والفداء في جنبات نفسه ، وتخليصه من آفات الغزو الفكري الاستعماري الاستيطاني ، وتهيئة ظروف العمل له ، حتى لا يكون عالة على غيره .

والتربية بهذه الأصول مجالها الأساسي أمران : البيت في رعاية الأبوين ، والمعاهد والجامعات .

أما **البيت** : فهو المدرسة الأولى للتربية الدينية والأخلاقية ، فعلى الأبوين تعليم الطفل والشاب كيفية معرفة الله تعالى وتوحيده ، وغرس أصول ومبادىء العقيدة الإسلامية ، وإبعاده عن التيارات الإلحادية والأفكار الهدامة ، ومراقبة سلوكياته وألفاظه ، وردود أفعاله في جميع أحواله العادية والعصبية ، وتعويده القيام بواجباته الدينية من صلاة وصيام ، وتعليمه محبة الآخرين ، وحب المسالمة بعز ، والموادعة بكرامة ، ونبذ العنف في العلاقات الاجتماعية ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] . وقال الله سبحانه : ﴿ وَأۡمُرۡ

﴿أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه : ١٣٢] أي إن الآباء والأمهات مطالبون بأمر أبنائهم وبناتهم بالصلاة التي تصلهم بربهم وبالخير الذي يملأ نفوسهم ، وهم ينهونهم عن الشر الذي يعكر صفو النفس المؤمنة ، ويعلمونهم ويؤدبونهم على الأخلاق الرضية الطبية ، حتى يقوهم من النار ، ويأمرونهم بالصلاة وبالتكاليف الشرعية ، روى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرّقوا بينهم في المضاجع » .

قال ابن سينا الفيلسوف المسلم حول منهج التربية الإسلامية الأولى : « ينبغي البدء بتعليم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسمياً وعقلياً ، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء ويلقَّن معالم الدين ، ثم يروي الصبي الشعر ، مبتدئاً بالرجز ثم بالقصيدة ، على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب ، ومدح العلم ، وذم الجهل ، وما حث منه على بر الوالدين ، واصطناع المعروف ، وقرى الضيف ، فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن ، وألم بأصول اللغة ، نُظِر عند ذلك

في توجيهه إلى ما يلائم طبيعته واستعداده »[1] .

وقال العلامة ابن مسكويه في تهذيب الناشئة : « فالأَوْلى بمثل هذه النفس أن تنبه أبداً إلى حب الكرامة ، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال ، وبلزوم سنن وظائفه ، ثم يمدح الأخبار عنده ، ويمدح هو في نفسه إذا ظهر شيء جميل منه ، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه ، ويؤخذ باشتهائه المآكل والمشارب والملابس الفاخرة ، ويزين عنده خلق النفس والترفع عن الحرص في المأكل خاصة وفي الملذات عامة .

فإن خالف في بعض الأوقات ما ذكرته ، فالأَوْلى ألا يوبخ عليه ، ولا يكاشف بأنه أقدم عليه ، فإن عاد فليوبخ عليه سراً ، وليعظم عنده ما أتاه »[2] .

وأما **المعاهد والجامعات** : لا المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية فقط ، فهي المجال الذي يكتمل فيه نضج

---

(١) كتاب السياسة لابن سينا : ص ١٣ـ١٤ .

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه : ص ٧٠ ، ط بيروت .

ووعي المتعلم ، لذا كانت التربية الدينية فيها محققة المطلوب والغاية المرجوة غالباً ، وقد صدر قرار من اتحاد الجامعات العربية بضرورة تدريس الثقافة الإسلامية في مختلف سنوات الجامعة ، وإنه لقرار حكيم وصائب ، والتربية في هذه المرحلة يجب أن تعتمد على الأسس التالية :

١ـ **التلقين الواعي والمقارنة المثمرة** : فعلى المربي أن يعرِّف الطلاب بحقيقة الإسلام وروحه السمحة ، وأنه الدين الذي أكمل الله به الرسالات السماوية ، وعليه تبصيرهم بالمبادىء الهدامة والأفكار الضارة ، وتحذيرهم من فقدان الشعور بالذات ، وحب الأصالة ، ونبذ التبعة للآخرين في ثقافاتهم وتقاليدهم وسلوكياتهم الغريبة عن أصولنا الطيبة .

٢ـ **القدوة الصالحة** : وذلك بأن يكون المربي قدوة حسنة أمام تلامذته قولاً وفعلاً ، مخلصاً متمسكاً بدينه ، مؤمناً بما يقول ، مرغباً في الأخلاق الحسنة ، متمثلاً لها ، منفراً عن الأخلاق السيئة مبتعداً عنها . قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ـ٣] .

٣ـ **المطالعة الواعية** : بالترغيب في حب القراءة

والكتابة ، وحسن اختيار الكتاب بقراءة ما يفيد ، والبعد عن الكتب الضارة التي تتحدث عن الغرام والإجرام والرذيلة ، والإقبال على كتب العقيدة الإسلامية والأدب الإسلامي .

٤ـ **الرفقة الصالحة** : بأن يختار الطالب الرفيق الصالح من أهل العلم والمعرفة والخلق السامي ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] ، وجاء في السنة النبوية الشريفة فيما يرويه أبو داود والترمذي عن النَّبي ﷺ أنه قال : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

ومن أصول التربية السليمة : التفاعل الإيجابي بين الشباب والكهول ، والاتصال بالحياة الفعلية والبعد عن الخيال .

والخلاصة :

إن قيمة العلم الكبرى ، وأهمية الإيمان العظمى بالله تعالى وتوحيده ، وتصديق ما أنزل على رسله في كتبه : هما الذخيرتان اللتان تتعانقان في سبيل اصلاح الشباب والأمة قاطبة ، فلن يستقيم الشباب ، ولن تصلح الأمة ، ولن تدوم

الحضارة إلا بالعلم المقرون بالإيمان ، وبالمعرفة التي تكون سبباً للبناء لا للهدم ، وللعطاء لا للحرمان ، ولإصلاح النفوس وتهذيب المشاعر وتمجيد الإنسانية ، لا للإفساد وتمزيق وحدة الشعور بالإنسانية وبالرابطة الأخوية في هذا العالم بين جميع أبناء البشر ، قال تعالى مبيناً مبدأ الوحدة الإنسانية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ مِنْهَا ﴾ [النساء : ١] . وقال سبحانه مبيناً ضرورة التعاون والتلاقي بين الناس والإخاء الإنساني : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وثبت في السنة النبوية فيما يرويه الدارقطني وغيره عن جابر أن « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله تعالى أنفعهم لعياله » ، و « خير الناس أنفعهم للناس » .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
معطيات العلم الحديث	٧
ثمار الإيمان بالله تعالى	١٦
قضايا الشباب	٢٠
أسس التربية الناجعة	٢٧
الخلاصة	٢٨
الفهرس	٣١

* * *